وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

محاضرات السنة الأولى جذع مشترك علوم سياسية

مقياس تاريخ الحضارة الإسلامية والعربية

محاضرة بعنوان « المدن وحواضر في الحضارة الإسلامية في المغرب الإسلامي والاندلس"

من اعداد د. فؤاد جدو

تمهيد:

من بين ملامح ومميزات الحضارة الإسلامية نجد المدن التي اسستها الحضارة الإسلامية من اقصى الشرق الى اقصى الغرب اين تركت بصمتها وانشئت أنظمة عمرانية وهندسة إسلامية خاصة بها لاتزال قائمة الى يومنا هذا.

1- **الحواضر والمدن في عهد البعثة المحمدية** : (ايوب، 2025)

المدينة الإسلامية فضاء إنساني يوظَّف فيه الإنسان والعمران والإتقان توظيفا جماليا تبادليا يحقق بعضه بعضا، حيث ينتصب المسجد منارة تشرف على أرجاء المدينة، وتلهم حركة ساكنيها في شوارعها المنضبطة الممهَّدة للمرور، بما يعنيه ذلك من رفع للأذى عنها عدَّه الإسلام من شُعَب الإيمان، وخلال ذلك تسري حركة الماء النظيف عبر أنظمة الأسبلة والنوافير وجماعات السقّائين.

هدف الإسلام من العُمران المديني إلى ترسيخ مبدأ الأخوة والتعاضد؛ فكانت المدينة قبل الهجرة مقسّمة إلى محلات سكنية منفصلة بين حصون لليهود ومواقع للأوس وأخرى لغرمائهم الخزرج. وهكذا فإن رسول الله ﷺ "قدِم المدينة وأهلها أخلاط: منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة الإسلام، وفيهم [اليهود] أهل الحَلْقة (= السلاح) والحصون، ومنهم حلفاءُ للحيَّيْنِ جميعا الأوس والخزرج؛ فأراد رسولُ الله ﷺ حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم وموادعتهم (= مهادنتهم)"؛ وفقا للواقدي (ت 207هـ/822م) في كتابه 'المغازي.'

وكان أول نشاط عمراني قام به رسول الله ﷺ أنه "بنى مسجده ومساكنه" لزوجاته من حوله؛ طبقا لابن هشام الحمْيري (ت 213هـ/828م) في 'السيرة النبوية'. ثم شرع ﷺ يوطّن الناس في مواضع الفراغ القريبة من المسجد ليكون هو قبلتهم ورمز وحدتهم، وهذا ما يذكره ياقوت الحموي (ت 626هـ/1229م) -في 'معجم البلدان'- بقوله: "فلما قدم رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة مهاجرا أقطعَ الناس الدُّور"، فكل حيّ منها سكنه أفراد من قبيلة أو عشيرة واحدة.

2- الحواضر والمدن في الغرب الإسلامي:

- **تلمسان**: (تلمسان، 2025)

قد كان أهل مدينة تلمسان من الأمازيغ وهم أول من شكل تجمعا سكانيا، لكن تلمسان تأسست كمدينة على يد الرومان في القرن الرابع بعد الميلاد، ثم، تعرضت إلى غزو من الوندال، وبعد الفتح الإسلامي في القرن الثامن ميلادي، أصبحت واحدة من أهم المدن، وكانت مركز إشعاع حضاري وثقافي، ومركزا للعديد من الدويلات الإسلامية، وأشهرها المرابطون وبنو زناتة ابتداء من عام1282 ، فضلا عن الدولة الإدريسية والموحدين والمرينيين.

اعتبرت المدينة البوابة الأولى للمغرب الأقصى، وقد عرفت بأنها دار العلماء والمحدثين، وبعد قيام الدولة الإدريسية استولى عليها الموحدون سنة 541 هجري، قبل أن تنهار دولة الموحدين وتنشأ مكانها أربع دويلات صغيرة، ويتعلق الأمر بدولة بنو الأحمر، والتي كانت تسمى أيضا الدولة النصرية في غرناطة، ودولة بنو مرين في المغرب الأقصى، وبنور حفص في شرق الجزائر وتونس، وبنو عبد الواد في المغرب الأقصى والتي كانت تضم تلمسان وأغادير. وحكمت دولة بنو عبد الواد التي عرفت باسم الدولة الزيانية قرابة ثلاثة قرون من 627 هجري إلى 957 هجري، وكانت تلمسان هي عاصمة هذه الدويلة، ولما ضعفت الدولة الموحدية، أعلن أبو يحيى أبو زيان وهو أمير بنو عبد الواد نفسه أميرا على تلمسان وما جاورها، ولكن الإمارة تعرضت لهجمات من جيرانها، واقتحمها سنة 640 هجري الأمير الحفصي أبا زكريا، مما اضطر أمير تلمسان إلى الفرار لينجو بحياته.

وخلال هذه الفترة فكر بنو عبد الواد في اتخاذ إجراءات لحماية مدينتهم من الاعتداءات والهجمات التي تتعرض لها من جيرانها، وقرروا إنشاء قلعة لمواجهة الهجمات الخارجية المحتملة، سميت بـ»المنصورة» دون أن تمنع تلك القلعة الاعتداءات في وقت لاحق، ولم يتبق منها إلا الأسوار المحيطة بها وصومعة مسجدها.

وصومعتها هي واحدة من ثلاث مآذن بنيت في بلاد المغرب، تشبه المئذنة الأندلسية الشهيرة التي شيدت في إشبيلية في الأندلس من طرف الموحدين

وكانت تسمى بغرناطة المغرب الإسلامي لتشابه معمارها وثقافتها وحتى الموسيقى أيضا التي استمدت منها.

- **فاس**: مدينة فاس المغربية، أسست في القرن الثامن الميلادي، وكانت مركزًا رئيسيًا للتعليم والثقافة في العالم الإسلامي:
  - جامعة القرويين: تعتبر أقدم جامعة قائمة في العالم، حيث جذبت العلماء والمفكرين.
  - العمارة: شهدت فاس تطور العمارة الإسلامية الفريدة، بما في ذلك المساجد والمدارس.
  - تجسد المدينة الفسيفساء الثقافية للثقافة الإسلامية.
- **مدينة قيروان:**

وكلمة القيروان في الأصل فارسية دخلت إلى العربية وتعني مكان السلاح ومحط الجيش وموضع اجتماع الناس في الحرب.

ويعود تاريخ هذه المدينة التي تعرف أيضا باسم عاصمة الأغالبة إلى عام 50 هجرية (670 ميلادية) عندما قام بإنشائها عقبة بن نافع.

ويعتبر إنشاء مدينة القيروان بداية تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في المغرب العربي حيث كانت تلعب القيروان دورين هامين هما الجهاد والدعوة.

فبينما كانت الجيوش تخرج منها للفتح كان الفقهاء يخرجون منها يعلمون العربية وينشرون الإسلام.

3- **المدن الإسلامية في الاندلس:** (الجزيرة، 2011)

- **غرناطة:**

تشير الدراسات التاريخية إلى أن تاريخ غرناطة يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، وقد وصلها الفتح الإسلامي عام 711 للميلاد، وكانت يومها مجرد منطقة تابعة لإدارة مدينة البيرة، الأكثر أهمية في منطقة الأراضي الخصبة في غرناطة، بين القرنين الثامن والعاشر الميلاديين، خلال المرحلة الأولى من الحكم الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية.

بسبب الفتن والنزاعات تعرضت البيرة لخراب، فانتقل أهلها إلى مدينة غرناطة الصغيرة فاتسع عمرانها وأصبحت حاضرة كبيرة وعاصمة للمنطقة، حكمها الزيريون ووسعوا بنائها وعززوا دفاعاتها في عهد زاوي بن زيري عام 1013 وجعلوها عاصمتهم، لكن المرابطين وحدوا الأندلس وهيمنوا على غرناطة عام 1090 وزادوا مساحتها ودفاعاتها.

هتمت بها دولة الموحدين أيضا حتى سقوط حكمهم، حيث تولى بنو الأحمر حكمها وجعلوها عاصمة "مملكة غرناطة" في عهد محمد الأول بن يوسف بن نصر "الأحمر" الملقب بالغالب بالله عام 1238، الذي بدأ بناء قصر الحمراء الشهير.

سقطت غرناطة في عام 1492 عندما سلمها الملك محمد الـ12 المعروف باسم أبي عبد الله الصغير للملوك الكاثوليك بعد معارك دامت بين الطرفين من 1482 إلى 1492. شهدت -بعد عام 1499 في عهد ملكة قشتالة إيزابيل الأولى- حملة تنصير شرسة، حولت المساجد إلى كنائس، وغيرت شكل المدينة، وأزالت معالمها الإسلامية.

يوجد بمدينة غرناطة أبرز آثار العهد الإسلامي، وهو قصر الحمراء الذي بني في عهد محمد الأول بن يوسف بن نصر "الأحمر" الملقب بالغالب بالله في 1238.

- **قرطبة:** (الظرافي، 2024)

كانت قرطبة من أولى المدن الإسبانية التي دخلها الإسلام، فقد افتتحها مغيث الرومي -مولى الوليد- أواخر سنة 92هـ، وفي سنة 98هـ اتخذها المسلمون حاضرة للأندلس بدلًا عن إشبيلية، كما سيأتي. ومع ابتداء ولاية السمح بن مالك الخولاني، في رمضان سنة 100هـ، بدأت قرطبة عهدًا جديدًا، لم تعهده من قبل.

وقد مرت قرطبة العربية بأربعة أدوار، ثلاثة منها أدوار إنشاء ونمو وازدهار، والرابع دور اضمحلال. الدور الأول (دور الإنشاء) يرتبط باسم السمح بن مالك رابع ولاة الأندلس، فهو الذي وسع البلد من جانبيه الشرقي والغربي، فهدم السور القديم وأعاد بناءه بالطوب على مسافة ضاعفت سعة البلد، وهو الذي أنشأ قصر الإمارة، حيث ستقوم قصور الأمراء فيما بعد، واستعمل حجارة السور القديم، في إعادة بناء قنطرة الوادي، فبنيت محكمة على سبعة أعمدة.

وعندما انتهت فترة حكم السمح القصيرة، كانت قرطبة قد أصبحت عاصمة جديرة بدولة كبرى، ولترتفع بعد ذلك إلى مصاف الحواضر الإسلامية الكبرى، بل ولتصير "جوهرة العالم" في عهد الخلافة الأموية بالأندلس.

ولم تزل قرطبة حاضرة للمسلمين إلى زمان الفتنة وسقوط الخلافة الأموية، في نهاية القرن الرابع، فافترق عند ذلك شمل المسلمين، وتم تخريب قرطبة والزهراء والزاهرة، وقامت دول الطوائف سيئة الصيت، وفقدت قرطبة مكانتها السياسية والحضارية شيئًا فشيئًا، إلى أن تغلب النصارى عليها في شوال 633هـ.